مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدُ

مُحَمَّدُ بْنُ بُولْعِيدْ "سِي عَبْدُ اللهِ"

1960 - 1915

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

محمد بن بولعيد "سي عبد الله"

1960 - 1915

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2012

ر . د . م . ك : 978-9961-312-00-0
الإيداع القانوني : 2010-4326

المتحف الوطني للمجاهد

ص.ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

يَسْكُنُ أحمَد بِمَدِينةِ قَسنْطينَةَ حيْثُ يُـزَاوِلُ دِرَاستَه فِي مَرْحَلةِ التَّعليمِ المتَوَسّطِ، بَيْنَمَا يَسْكُنُ جدُّه في العَاصِمة.

تلَقَّى هَذَا الأَخيرُ دَعْوَةً مِنْ جَمْعيّةِ أَوَّلِ نوفَمْبَرَ بباتْنَةَ التّي أُنْشِئَتْ لِتَدْوِينِ أحْدَاثِ الثَّوْرةِ، وَالتّعْريفِ بأبْطَالِها.

أَثْنَاء سَفرِ الجَدّ مِنَ العاصمةِ إلى مَدينةِ باتْنة عَرَّجَ عَلَى مَنْزِلِ ابْنه بِقَسَنطينَةَ؛ لِلْمَبيتِ عِنْدَهُ يَوْمَيْن، قَبْلَ أَنْ يُوَاصِلَ سَيْرَهُ إلى مَدينَةِ بَاتْنَة. وَقَبْل مُغَادَرَةِ مَنْزِل ابنِه ترَجّاهُ حَفيدُه أَحْمَدُ أَنْ يصْطَحبَه مَعَهُ؛ لأنَّه صَادَفَ ذَلِكَ السّفَرَ عُطلَةٌ مَدْرَسِيّةٌ قَصيرَةُ الأَمَد، فَقَبِلَ الْجَدُّ رَجاءَ حَفِيدِه، وطَلَبَ منْهُ أنْ يسْتَعِدَّ للسَّفَر.

كَانَ أَحْمَدُ مُتَفَوِّقًا في دِرَاسَتِه، يَحْتَلُّ المَرَاتِبَ الأُولَى بَيْنَ زُمَلَائِهِ فِي القِسْمِ الَّذي يَدْرُسُ فيه، لِذَلِكَ كَانَ جَدُّه وَوَالِدَاهُ لاَ يَرُدّونَ لَهُ طلبا.

بَعْدَ صلاةِ الفَجْرِ رَكِبَ أحمدُ وَجدُّه السّيّارةَ، وَتَوَجَّها إلى مدينةِ باتْنَة. وَأثناءَ السّيْرِ اسْتَمَتَعَ أَحْمَدُ بمناظِرِ الطّبِيعَةِ فَتْرَةً مِنَ الوَقْت، ثُمَّ سَأَلَ جَدَّهُ عَن سَبَبِ سَفَرِهِ إِلَى مَدِينةِ بَاتْنَة، فَأَجَابَهُ بِقَوْلِه: دُعِيتُ لِلْمُشَارَكَةِ فِي إِحْيَاءِ ذِكْرَى اسْتِشْهادِ أَحَدِ أَبْطالِ ثَوْرَةِ نُوفمبرَ المجِيدَة.

أحمد: مَن هُوَ هَذَا البَطَلُ؟

الجدّ: هُوَ مُحمَّدٌ بنْ بُولْعِيد.

أحمد: مَتَى وُلِدَ، وأيْنَ؟

الجدّ: وُلِدَ في 1915 بقَرْيةِ "أَفْرَا" الواقِعةِ شَمَالَ قَرْيَةِ "الْحُجّاجْ" الْقريبتَيْنِ مِنْ بَلْدَةِ "آرِيسْ".

أحمد: ما علاقَتُكَ به؟

الجدّ: كُلٌّ مِنَّا يَنْتَمِي إلى قَبيلَةٍ مَشْهُورةٍ مِنْ قَبَائلِ الأَوْرَاسِ، تُسَمَّى قَبِيلةَ "التَّوابَة"، وكنْتُ رفيقَه في الجِهاد.

أحمد: حَدِّثْنِي عَنْ نَشْأَتِه؟

الجدّ: تَرَبّى فِي أَحْضانِ عَائِلةٍ كانَتْ مُحَافِظةً عَلَى عاداتِ وتقاليدِ أَجْدَادِها؛ وَكَانَتْ تَعْتَمِدُ فِي مَعيشَتِها على النّشاطِ الفِلاحِيّ.

أحمد: أَيْنَ تَعَلّمَ؟

الجد: تَعَلَّمَ في الكُتّاب، حيثُ حَفِظ القرآنَ الكريمَ، وتعَلّم مبادئَ اللغةِ العَرَبيّة.

أحمد: ما هي الأعمالُ التّي مَارَسَها بَعْدَ أَنْ بَلَغَ سِنَّ الرُّشْد؟

الجد: سَاعَدَ وَالِديْه عَلَى تَوْفِيرِ مُتَطلّبَاتِ الْحَياةِ الأُسَرِيّة، بِمُمَارَسةِ النّشاطِ الفِلاَحيّ.

أحمد: عَرَفْتُ أنّ ابْنَ عَمّه "مُصطفى" كَانَ مُنَاضلاً فِي حزبِ الشّعبِ، فَهَل كانَ محمّدٌ كَذَلِك؟

الجد: نعم، انضمَّ هُو أيْضًا إلى الحزْبِ نَفْسِه، وتكوّنَ سِيّاسيًّا عَلَى يَد ابْنِ عَمّهِ الذي سَبَقَهُ إلى النّضَال؛ وَلَمَّا أَنْشَأَ مُنَاضِلُو الحِزْبِ حركةَ الانْتِصَارِ للْحُرّيات الدّيمقْراطيّة عام 1946 انْضَمّ إليها محمَّدٌ ابَن بولْعِيد. وَلَمَّا أَنْشَأَتِ الحَرَكةُ المَنَظّمَةَ الخَاصَّةَ عام 1947 انضَمّ أَيْضًا إلى خَلِيَّةٍ مِنْ خَلايَاهَا بِبَلْدَة "آرِيسْ".

أحمد: لِمَاذَا أُنْشِئَتِ المَنَظّمَةُ الخَاصَّة؟

الجد: أُنْشِئَتْ لِتَتَولّى مَهَمّةَ الإِعْدَادِ المادّيّ والمعْنَوِيّ لِمَرْحَلةِ الكِفَاحِ المُسَلّح.

أحمد: ماذا تَعْني بالإِعْدادِ الْمادّيّ والْمَعْنَويّ؟

الجد: الإعدادُ المادّيُّ هُوَ جمعُ السّلاحِ والذّخيرةِ الحَرْبيّةِ وَالتّدرُّبُ على اسْتِعْمَالِهمَا، بالإِضَافَةِ إلى التَّدَرُّبِ على كَيْفِيَّةِ التّخْطِيطِ لِلهَجَمَاتِ السَّرِيعَةِ الْمُبَاغِتَةِ عَلَى مَرَاكِزِ العَدُوّ وَقُوّاته، أَمَّا الإعدادُ الْمَعْنَويُّ فَهُوَ الاسْتِعْدَادُ النّفْسِيُّ لِمُتَطَلَّبَاتِ الحَرْبِ، وَتَوْعِيةُ الْمُواطنينَ بِحَتْمِيَّةِ الكِفاحِ الْمُسَلَّحِ بَعْدَ فَشَلِ المقاوَمَةِ السّيَاسِيَّةِ مَعَ المسْتَعْمِرِ الفَرَنْسِيّ.

أحمد: هَلْ شَارَكَ الشَّهِيدُ في الْعَمَلِيّاتِ الأُولَى التّي وَقَعَتْ في الفَاتِحِ مِن نُوفَمْبر؟

الجد: نَعَم، شَارَكَ في الْهُجُوم الذي شَنَّه فَوْجٌ مِنَ المجاهدينَ عَلَى الثُّكْنَةِ العَسْكَرِيَّةِ بِمَدِينَةِ باتْنَة، وبَعْدَ مُرُورِ بضْعَةِ أيّامٍ عَلَى هَذَا الْهُجُومِ انْتَقَل إِلَى جَبَلِ "احْمَرْ خَدُّو".

أحمد: مَا هِيَ المَسْؤُولِيّاتُ التي كُلِّفَ بِهَا بَعْدَ ذَلِك؟

الجدّ: في عام 1955 عُيّنَ مَسْؤُولاً عَلَى فَرْعِ لِقسْمَة"القَنْطَرة"التّابِع لِنَاحِيةِ "امْشُونَشْ"، وعُرِفَ حِينَئِذٍ باسم "سي عبد الله"؛ ومِنْ هُنَاك انتَقَلَ إلى ناحِيَةِ "امْدُوكال"، وَجبَالِ "الزّاب" لِنَشْرِ رِسالَةِ نُوفَمْبرَ، التّي تَضَمَّنَها البَيَانُ التّاريخيُّ الَّذي وُزِّعَ عَقِبَ انْدِلاَعِ الثّوْرةِ، بالإضَافةِ إلى جَمْعِ أسْلحةِ الصّيدِ مِنَ المواطنينَ، قَبْلَ أَنْ يأخُذَها مِنْهُمُ العَدُوُّ.

أحْمد: ما هي النّشَاطَاتُ التي قَامَ بِهَا أَثْناءَ تَنقُّلِه؟

الجدّ: أَثْنَاءَ تَنَقُّلِه جَنَّدَ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ الرّجالِ، نَفّذُوا عَدَدًا مِنَ العَمليَّاتِ ضِدَّ قُوّاتِ العَدُوّ؛ أَشْهَرُها نَسْفُ خَطِّ سِكّةِ الْحَدِيدِ الرّابِطِ بَيْنَ مَدِينَتَيْ بَسْكرَةَ

وَبَاتْنَةَ عام 1955؛ الّذي نَتَجَ عَنْهُ انْحِرَافُ عَرَبَاتِ القِطَارِ عن السّكّةِ، وَشَارَكَ في مَعْرَكَةِ "بني فَرْحٍ" في العامِ الذي اِنْعَقَد فيه مُؤتَمَرُ الصّومامِ (1956).

أحمد: هَل حَضَرَ الشَّهيدُ مُؤتَمَرَ الصّومام؟

الجدّ: لا، ولَمْ يَحْضُرْهُ قَادَةُ الثَّورةِ بالأوراسِ، بسبَبِ اسْتِشْهَادِ القائِد مُصطفى بَنْ بولْعِيد.

أحمد: مَاهِيَ نَتَائِجُ المُؤْتَمَر؟

الجدّ: أسْفَر المؤتَمَرُ عَنْ ظُهُور قِيَادَةٍ جَدِيدَةٍ للثَّوْرَةِ، تُسَمَّى المجْلِسَ الوطنيَّ للثّورةِ، وَكُوِّنَتْ مِنْ أَعْضائِه لَجْنَةُ تُسمَّى "لَجْنةَ التّنْسِيقِ والتّنْفِيذ"، وأُعيدَ النّظَرُ في تَقْسِيمِ التُّرابِ الوطَنِيّ؛ فَقُسِّمَ إلى سِتِّ وِلايات، بَعدَ أَنْ كَانَ مُقَسَّمًا إلى خَمْسِ مناطِقَ.

أحمد: كَيْفَ اطّلَعَ قَادةُ الثَّورةِ بِالأوراسِ عَلَى نَتَائِجِ المؤْتَمَر؟

الجد: كَلَّفَتْ لَجْنَةُ التَّنسيقِ والتّنفيذِ الرّائدَ "اعْميرُوش" الذّي انْعَقَدَ المؤتَمَرُ في مِنْطَقته بالذّهابِ إِلَى الأَوْرَاس، لِتَبْلِيغ قَادَتِهِ بِمُقَرَّرَاتِ المُؤْتَمَر.

أحمد: هَلْ نَفّذَ "اعْميروشْ" ما كُلِّفَ بِه؟

الجد: نَعَم، انْتَقَلَ مِنَ الولايةِ الثَّالِثةِ (القبائل الكبرى) إِلَى الأَوْرَاسِ، وهناك عَقَدَ سِلسلةً مِنَ الاجْتِماعَاتِ، أَسْفَرَ وَاحِدٌ مِنْها عَنْ تَعْيِينِ "سِي عبد الله" بِنَاحِيَةِ "امْشونَشْ" بَعْد تَرْقِيَتِهِ إِلى رُتْبَةِ "مُلازِمٍ أَوَّل" مكَلَّفًا بالاتّصالِ والأَخْبَارِ.

أحمد: مَا هِيَ المَعَارِكُ التِّي خَاضَهَا "سي عبد الله" ضدَّ العدُوّ؟

الجدّ: خاضَ عِدَّةَ مَعَارِكَ، أَذْكُرُ مِنْهَا مَعْرَكَةَ "بَرْقُوقْ" بقيادَةِ "سي الحواس" في عام 1958، ومَعركةَ "الْكَرْمَةِ" فِي الجَبَل الأزْرَقِ في عام 1959،

ومعركةَ الْحِلْفِ في عام 1960 الّتي اسْتُشْهِدَ فيها.

أحمد: حدِّثني عنِ هذهِ المَعْرَكَةِ ؟

الجدّ: وَقَعَتْ بجبَل "احْمَرْ خَدُّو"، وسَتَسْمَعُ الْحَديثَ عَنْها عِنْدَمَا نَزُور المكانَ الذي وَقَعَتْ فيه.

تَوَقَّفَ الحِوَارُ بَيْنَ أَحْمَدَ وَجَدّه، حَوْل سِيرَةِ الشّهِيدِ محمّد بن بُولْعِيد، وعَادَ أَحْمدُ إلى الاستِمْتَاعِ بِمُشاهَدَةِ الْمَناظِرِ الطّبيعيّةِ الخلاّبَة، وبِنَمَطِ العُمْرَانِ الْمُنْتَشِرِ على سُفوحِ الجبالِ والرّوابي، الّذي كان بَعضُه يُشْبِهُ خَلاَيا النّحْل.

وَبَعْد صَمْتٍ طَوِيلٍ، قال الجدّ: لم يَبْقَ على وُصُولِنا إلى مدينةِ باتنةَ إلا مَسافةٌ قَصيرةٌ، سَتَقْطَعُهَا السّيّارةُ فِي نِصْفِ سَاعَةٍ تقريبًا.

وَحِينَ وَصَلاَ قَصَد الجدّ مَقرَّ جَمْعِيّةِ أَوّلِ نُوفمْبرَ، حيثُ اسْتُقْبِلَ فِيهِ بِحَفَاوةٍ كبيرةٍ، وبعد اسْتِراحةٍ

قَصيرَةٍ، تَوجَّهَ الوَفْدُ إِلَى جبلِ "احْمَرَ خَدُّو".

تَوقّفتِ السّيَّاراتُ عِند هَضْبَةٍ تُقَابِلُ المكانَ الذي وَقَعَتْ فِيه المعرَكةُ، وَهُنَاكَ طُلِب مِنَ الجَدّ أن يَصِفَ سَيْرَ المعركة، فَبَدَأَ حَدِيثَه بالبَسْمَلةِ وَالحَمْدلَةِ وَالصّلاةِ والتّسْلِيم عَلَى مُحَمّدٍ رسولِ الله "صَلَّى الله عَليهِ وَسلّم"، ثُمَّ شَرَعَ فِي وَصْفِ المعْرَكةِ، وأثناءَ الوَصْفِ كانَ يشير بِكِلْتا يدَيْهِ إِلَى الأماكِنِ؛ وممّا وَرَدَ في وَصْفِه قولُه:

كانَتْ قُوّاتُنا مُؤَلَّفةً مِن عدَدٍ منَ فِرَقِ جيشِ التّحْريرِ كانَ بعْضُها تابِعًا لِلْولاَيَةِ الأُولَى، وبعْضُها تابِعًا لِلْولاَيَةِ السّادِسَةِ؛ كان "سي عبد الله" يَقُودُ فِرْقَةً مِنْها.

كانت قُوّاتُ الْعَدُوّ مُدعّمَةً بالْمِظَلّيِّين الحَاملينَ أسلحةً مُتطوّرَةً، وَمِنَ الجوّ تُدَعِّمُهم الطائراتُ الْحرْبيَّةُ.

بَيْنَماكُنّا نُقابِلُهم بأسلحةٍ بسيطةٍ؛ يُقَوّيِنَا الإيمانُ بِاللهِ وبِقَضِيّتِنَا العَادِلة.

ورغْمَ الفارِقِ الكبيرِ بَيْنَنَا وبينَ العَدُوّ فِي العَددِ والعُدّةِ، لَمْ نَنْخَذلْ بَلْ صَابَرْنا، وَثَبتْنا، وتَصَدّيْنا لِلعَدُوّ. وعِنْدَمَا أَدْرَكْنَا الفَارِقَ الكَبيرَ بَيْنَ قُوّاتِنا وقُوَّاتِهِ طَلَبْنَا مِنْ "سِي عبد الله" أنْ يَنْسحِبَ منَ أرضِ المعركةِ لِينْجُوَ بِنفسِه، وَنَبْقَى نَحْنُ؛ لأنّ الثَّوْرَةَ كَانَتْ في أمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَى كَفَاءَتِه وَحُنْكَتِه، ولَكِنّهُ رَفَضَ الانْسِحَابَ، وأصَرَّ عَلَى مُواجَهةِ الْعَدُوّ مَعَنا.

دَامَتِ الْمَعْرَكَةُ يومًا كَاملاً. وَلَمّا خَيَّمَ اللّيلُ شَرَعْنا في الانْسِحابِ مِنْ أَرْضِ المعرَكةِ تَحْتَ جُنْحِ الظّلام لِتَغْييرِ مَوَاقِعِنَا، وأَثْنَاءَ الانْسِحابِ أصِيبَ "سِي عبْدُ الله" إصابةً قاتِلةً سَقَط على إثْرِها شهيدا.

عِنْدَمَا وَصَلَ حَدِيثُ الجَدِّ إِلى هَذِه النُّقْطَةِ غَلَبَهُ البكاءُ؛ فسادَ جوٌّ من الْهَيْبَةِ والخشُوعِ؛ وَبَعْدَ أَنِ اسْتَرجَعَ هُدُوءَه ختَمَ الحديثَ بقوله:

على أرضِ هَذه البُقْعَةِ الطّاهرةِ كَانَتِ النّهايةُ المشَرّفَةُ لِلْبَطَلِ "سي عبد الله" رَجُلِ المبادئِ السّامِيّةِ وَالأَخْلاقِ الفاضِلةِ، والشّجاعةِ النّادِرَة.

الْمَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ